بيوتات علماء السودان الغربي كما ذكرها أحمد بابا في نيل الإبتهاج

أ.هواري رضوان
أستاذ مساعد ، جامعة قسنطينة 3

ملخص:

تعد بلاد السودان الغربي احد المناطق التي ساهمت في إثراء التراث الإسلامي من خلال دورها البارز خلال العصر الوسيط .حيث نافست هي الأخرى باقي مناطق العالم الإسلامي ،من حيث الإنتاج العلمي وجملة العلماء الذين برزوا رغم كل المعيقات الطبيعية ،وحتى السياسية،فبرزت فيها هي الأخرى عدة بيوتات علمية كنظيراتها في بلاد المغرب والأندلس باعتبارها امتدادا طبيعيا لها .فألف هؤلاء العلماء في شتى العلوم وذاع صيتهم في المشرق والمغرب وبينوا تضلعهم ومجاراتهم لأقرانهم في باقي البلاد الإسلامية .

الكلمات المفتاحية : بيوتات العلماء ، تمبوكتو ، المراكز العلمية ، التواصل الحضاري ، الإنتاج العلمي

Summary :

Western Sudan known as other Islamic countries developed a scientific movement, and it is no different in terms of scientific production of these diagonals, authoring flourished when the scientists included various mental science and for transport, which has increased in that region known intellectual exchanges with other Islamic countries in East and West, and the movement of students and scholars to the leading scientific centers in the Muslim world.

Key words: houses scientists, Timbuktu, scientific centres, cultural, scientific production

مقدمة

عرف السودان الغربي خلال الفترة الممتدة مابين القرنيين السابع والعاشر الهجريين عدد لا يستهان به من العلماء والأعلام الذين كانوا نتاجا للتواصل الثقافي بين المغرب الإسلامي وهذه البلاد من خلال العلماء الذين ارتحلوا إلى حواضر السودان الغربي ، تومبوكتو ،جني،غاو ، أو الكتب التي راجت في أسواقها أو عن طريق الرحلات الحجازية التي مثلت جسر تواصل بين شعوب العالم الإسلامي كافة .ولعل الدارس لبلاد السودان الغربي يتساءل هل البيئة الصعبة

التي تتميز بها هذه المنطقة كانت عائقا أمام ازدهارها علميا وحضاريا ؟ ومن أجل ذلك كان لابد نستنطق مصادر هذه المنطقة وعلى رأسها كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي محور دراستنا والذي يعد معلمة بيبليوغرافية وخاصة لعلماء السودان الغربي .

تكونت كوكبة من العلماء السودانيين جعلوا من بلادهم مركز إشعاع ثقافي لاتقل أهمية عن باقي مناطق العالم الإسلامي .

لقد أشار عبد الرحمن السعدي في كتابه"تاريخ السودان " إلى الازدهار العلمي الذي تميزت به بلاد السودان الغربي من خلال ترجمته لمائتي عالم سوداني، ساهموا في تطوير الحياة الثقافية في هذه البلاد. كما أشار ابن بطوطة عندما زار المنطقة عن الازدهار الشديد الذي عرفته مدن السودان الغربي[1].

وهذا مانجده تقريبا عند كل مؤرخي السودان الغربي ومنهم كذلك أحمد بابا التمبكتي صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأنه ترجم لعدة علماء من السودان الغربي منهم من عاصرهم ومنهم سبقوه .

1- أسرة أقيت :

لقد ترجم أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج لمعظم أفراد أسرته والتي يعد" محمد أقيت "جد هذه الأسرة استقر بتومبوكتو في منتصف القرن التاسع الهجري وقد انحدر من هذه الأسرة علماء كان لهم الأثر البالغ في الثقافة الإسلامية واللغة في السودان الغربي عامة تومبوكتو خاصة ومنهم:

-عمر بن محمد أقيت :

ولد في القرن التاسع الهجري ،عاش في فترة السلطان سني علي ، كان عالما فقيها صالحا تقيا درس على يد الفقيه الصالح محمد الكابري[2] رحل إلى ولاتة* عام 472 هـ / 1467 م بأولاده الثلاثة الحاج أحمد وهو أكبر هم والفقيه عبد الله والفقيه محمود وهو أصغر إخوته وكان بمعية صهره الفقيه النحوي المختار بن القاضي أندغ محمد ، فرجع ابنه محمود وعبد الله إلى تمبكتو أما الشيخ عمر فقد فضل البقاء هناك إلى أن توفي، أما ابنه الحاج أحمد فانه التحق بإخوته في تمبكتو .

- أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي التكروري التنبكتي عرف بالحاج أحمد : (857 هـ/1453 م -942 هـ/1533 م)

هو أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين في قطرهم بالعلم والديني المشرق وهو جد أحمد بابا لأبيه،رحل إلى المشرق سنة890 هـ/ 1485 م وحج ولقي جماعة من العلماء منهم الشيخ جلال الدين السيوطي، واللقاني شمس الدين بن حسن بن علي المتوفى سنة 905 هـ/1499 م وغيرهم

. أخذ العلم عن جده لأمه الذي تولى قضاء تنبكتو وولاته ،وبعد عودته من الحج جلس للتعليم توفي ليلة الجمعة من ربيع الثاني 942هـ عن نحو ثمانين سنة وقد طلب للإمامة فامتنع فضلا عن غيرها [3] وقيل أنه خلف وراءه سبعمائة مجلد [4] وقد خل أولادا فاضل منهم أبو بكر وأحمد.

- أبوبكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي الأصل : (932 هـ /1526 م -991 هـ/1582 م) نزيل المدينة المنورة عم الشيخ أحمد بابا الرجل الصالح العالم العامل البركة الفاضل له تآليف في التصوف وغيره منها :معين الضعفاء في القناعة وغيره [5] سافر إلى المشرق فحج وجاور المدينة وتتلمذ على شيوخها ثم رجع إلى بلاده فنفع الله به الخلق ،ونشر علمه ،ثم عاد إلى المدينة المنورة حتى توفي بها. عرف بزهده وهو شيخ احمد بابا حيث يذكر ذلك حين قال :" وهو أول من قرأت عليه علم العربية فنلت بركته ففتح لي فيه في مدة قريبة بلا عناء." [6]

- أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي:(929هـ/ 1523 م- 991 هـ/ 1583 م)

هو أب أحمد بابا قال عنه السعدي: "كان ذ كيا درّاكا متفننا محدثا أصوليا بيانيا منطقيا وكان رقيق القلب وكان جماعا للكتب النفيسة وافرا لخزانة محتوية على كل نفيس سموحا بإعارتها "،رحل إلى المشرق الإسلامي سنة956 هـ/1549 م فحج وزار وتتلمذ على كبار علماء عصره في مصر والحرمين وتدارس معهم كالناصر اللقاني والتا جوري فانتفع بهم وعاد إلى بلاده فدّرس وأسمع عنه الصحيحين نيفا وعشرين سنة كان له قدر كبير عند السلطان أسكيا داود*سلطان مملكة سنغاي ،وكان يزوره في داره.

أخذ عنه الفقيهان الأخوان محمد وأحمد ابنا الفقيه محمود بغيع ولد عام 929 هـ /1523 م وتوفي 17 شعبان عام 991 هـ / 1583 م [7] ومن آثاره : شرح مخمسات العشرينات الفازازية لابن مهيب في مدح النبي (ص)، شرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا حسنا وكتب حاشية على شرح التتائي على خليل ركز فيه مواضع السهو [8].

- أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي الصنهاجي المعروف ب أحمد بابا صاحب نيل الابتهاج :

عرف بنفسه في كفاية المحتاج اذ يقول:" جامع هذا الجزء هو أحمد هو أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت ابن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي الماسني ، ويعرف بابا " [9] درس على يد شيو خ كثر ترجم لهم في كتابه نيل الابتهاج ، ختم الموطأ وتسهيل ابن مالك أصول السبكي وألفية العراقي بشرح مؤلفها ، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين ورجز المغيلي في المنطق و المدونة بشرح أبي الحسن الزويلي ، صحيح البخاري ومسلم [10]. امتحنه الله هو وأسرته بالغزو المراكشي على يد المنصور السعدي لمدينة تنبوكتو عام 1000هـ / 1592 م، هذا ماجعل أسرته تندد بهذا الغزو فأثار ذلك حفيظة السعديين[11]، فأمر المنصور بالقبض عليهم

ونفيهم إلى مراكش* رجالا ونساء ، كما نهبت خزائنهم ودمرت ديارهم [12]. بعد إطلاق صراحه شرط البقاء في مراكش جلس على كرسي لتعليم لتلقين الدروس هناك فكان بجامع الشرفاء منزلا له [13]. بقي في مراكش فاتصل بعدة علماء واطلع على نفائس الكتب في المكتبات التي زارها والخزائن التي وصل إليها .وبعد عودته من المغرب واصل نشاط التدريس في جوامع تمبكتو فشملت دروسه الى جانب علوم اللغة والدين ، مباحث المنطق والحساب ،ولكن عنايته كانت بالتأليف أكثر [14] فزادت مؤلفاته عن الأربعين وهذا دليل على طول باعه في التأليف ،وسعة ثقافته وعمق تفكيره [15] وكانت الحملة المغربية وغيرها من الظروف التاريخية التي تعاقبت على المنطقة حتى الحركة الاستعمارية الفرنسية سببا في إتلاف جل تلك المؤلفات. اذ لم يعثر إلا على اثني عشر كتابا [16]. لقد تعرضنا إليه فيما سبق.

- محمود بن عمر بن محمد أقيت ابن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي [17] قاضي تمبكتو (868 هـ / 1463 م-955 هـ / 1548 م) :

قال عنه أحمد بابا والسعدي:" عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها بلا مدافع كان من خيار عباد الله الصالحين ... تولى القضاء عام 904 هـ / 1498 م في عهد أسكيا محمد(1493م-1528 م) [18] الملك العادل ملك سنغاي وهذا بعد وفاة الشيخ أحمد بن سعيد ،فسدد في الأمور وشدد في ملازمة التدريس وانتفع به بشر كبير وأحيى العلم بتلك البلاد واشتهر ،ورحل إلى المشرق وحج عام 915 هـ / 1509 م ولقي علماء عصره بمصر والحجاز كالشيخ القلقشندى صاحب كتاب صبح الأعشى وغيرهم من كبار أهل العلم وأئمته في ذلك العصر .ثم عاد إلى بلده وقد استفاد ولازم الإفادة ،وإنقاذ الحق حتى توفي في 16 رمضان 955 هـ/1548 م وقيل أنه لازم التدريس خمسين سنة [19] .فكان شديدا على نفسه وعلى الملوك والوجهاء ،لا يخاف في الله لومة لائم ،يهابه الملوك فمن دونهم ، ومن الملاحظ أن هذا الدور وهذه المكانة لم يكونا جديدين على علماء المنطقة .له مؤلفات عديدة في الفقه والعقيدة أهمها : شرح مختصر خليل ، والتعليق على رجز المغيلي[20] .

- محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر ابن علي بن يحي الصنهاجي قاضي تنبكت : (909 هـ / 1503 م – 973 هـ / 1565 م)

نشأ محمد أقيت الحفيد وهو أول مولود ذكر لأبيه في أسرة إسلامية عرفت بالعلم ، وكان لها نفوذ كبير لدى الملوك و الشعب منها كان يتخرج قضاة تنبكت [21]، والملاحظ أنّ المصادر والمراجع لم تذكر مراحل تكوينه العلمي ولا الأساتذة الذين تتلمذ عليهم بخلاف العلماء الذين تتلمذوا عليه .ومن المحتمل أنه تلقى تكوينه الأساسي الذي كان يركز أساسا على حفظ القرآن كاملا وتعليم بعض المبادئ الإسلامية

على والده ومن بعض أفراد أسرته ، لأن التعليم حينئذ غالبا ما يكون حكرا على أبناء العلماء وأقاربهم فقط دون عامة الشعب . أما فيما يتعلق بتكوينه في المرحلة الموالية التي ينكب فيها الطالب على دراسة الكتب اللغوية والدينية ، فيبدو أنه تعلم فيها على والده وعلماء تنبكت ، وربما بعض علماء المغرب والمشرق الذي وفدوا إلى المنطقة بارادتهم وبطلب من الملوك وخاصة ملوك سنغاي الذين اهتموا بالعلماء .

وقد تتلمذ عليه علماء كثيرون من كافة أنحاء السودان الغربي وقتئذ ، نذكر، على سبيل المثال لا الحصر ، والد أحمد بابا ، يقول أحمد بابا : " أخذ عنه والدي ن البيان والمنطق "[22] وهذا لا يعني أنه اكتفى بتدريس علمي البيان والمنطق دون غيرهما من اللعلوم اللغوية والإسلامية الأخرى فقد تضلع في العلوم اللغوية والإسلاميةعلى حد السواء ؛ " فكان ذا جاه وفهم عميق ونظر ثاقب في العلوم الإسلامية ... " [23] وقال السعدي : " أما القاضي محمد فكان عالما جليلا فهاما ذكيا ، وليس له نظير في عمره في الفهم والدهاء والعقل ... " [24] تولى منصب القضاء في تنبكت بعد وفاة والده سنة 955 هـ / 1548 م ،فأسعفه الحظ أن يكون من أهل الجاه والمال ، يقول أحمد بابا : " ...تولى القضاء بعد أبيه ، فساعدته السعادة ، فنال ما شاء من دولة ورياسة تفيأ منها ظلا ظليلا ،واكتسب من الدنيا عرضا وطولا ..." [25].

فعائلة محمد عائلة مشهورة بالعلم والثروة ، وإضافة إليه وإلى والده فقد تولى اثنان من إخوته القضاء في مدينة تنبكت هما : العاقب وعمر .

-عبد الله بن محمود بن عمربن محمد أقيت بن عمربن علي بن يحي الصنهاجي :(... هـ / ... م – 1006 هـ / 1597 م)

هو الفقيه عبد الله رابع أبناء محمود ابن عمر أقيت وأقلهم شهرة .وهم محمد وعمر والعاقب ، ولا تذكر المصادر إلا أنّه ولد في مدينة تنبكتو وأنه ترعرع فيها وأخذ العلم عن علمائها وفي مقدمتهم والده محمود

بن عمر وقد ذكر أحمد بابا في نيل الابتهاج أنه امتحن كإخوانه بالنفي إلى مراكش مع ثلّة من العلماء وأنّه توفي بها عام 1006 هـ/ 1597 م بالطاعون فكان إذن شهيدا [26] وهذا ما يدل على موقف علماء السودان الغربي السلبي من الغزو المغربي لبلادهم عام 1591 م فكان عندهم بمثابة نكبة كبيرة عصفت بمدينتهم وبأهم مافيها من العلماء والمكتبات الثرية التي كانت مفخرة لها .فكان العلماء وخاصة عائلة أقيت هم الذين دفعوا الثّمن الأكبر .اذ كانت هذه العائلة عبارة عن سلطة مضادة لسطو السلطة السياسية منذ عهد أسكيا محمد (1493م/1598 م) ، وهو ما كان يحقق نوعا من التوازن في المجتمع السوداني .فقامت تلك النكبة بتجريدها من سلطتها الدينية [27].

كان عبد الله فقيها حافظا وله شرح على الخليل وقد مارس في تمبوكتو إلى جانب وظيفة التدريس نشاط التأليف والإنتاج الفكريّ .ولعل شرحه المشار إليه [28] ضمن الكتب التي ضاعت من مكتبات المدينة من جراء الغزو المغربيّ .

العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي قاضي تنبكت :(913 هـ / 1507 م – 991 هـ / 1583 م)

الإمام الفقيه الفاضل العالم القاضي العادل ، أخذ عن أبيه وعمه ، رحل إلى المشرق للحج لقي عدة شيوخ في هذه الرحلة فأجازه الناصر اللقاني* والتاجوري* ، وقد أجاز هو أحمد بابا تولى قضاء تبكت ،ولم تشر المصادر إلى إنتاجه الفكري غير أنه كان صلب في الحق لا يخشى في الله لومة لائم وكثيرا ما لاطفه الملوك حتى يرجع إلى منصب القضاء وهذا ما أشار إليه أحمد بابا في النيل وفي كفاية المحتاج [29].

-أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت 1003 هـ /1594 م)

على الرغم من كونه منتسبا إلى عائلة أقيت المشهورة فإننا لا نجد فيما يتّصل بمولده سوى أنه ولد في مدينة تمبكتو ، وأنه زاول فيها تعلمه وتكوينه في العربية وعلومها وفي مقدمتهم واله محمود بن عمر أقيت ، عاصر الغزو المراكشي لمدينة تمبكتو في أواخر القرن السادس عشر الميلادي وكان من بين العلماء الذين أسروا ونفوا إلى مدينة مراكش .وبها توفي ليلة الجمعة من شهر محرم سنة 1003 هـ /1594 م.فدفن بجوار القاضي أبي الفضل عياض* برع في علم الحديث والسير والتاريخ بلغ الغاية القصوى في الفقه ، لم تذكر المصادر ما يدل على أنه صنّف في هذا العلم ولا في غيره من العلوم وأكثر ما اشتهر به هو أنه تولى القضاء في مدينة تمبكتو سنة 993 هـ / 1585 م بعد امتناع شديد ،وقد شهد بعض العلماء له بمكانته [30] وأن علماء افريقيا لم يكونوا من حيث المستوى الفكري دون العلماء المغاربة من ناحية ثانية [31].

- عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن علي بن يحي الصنهاجي(866هـ/1461م-929 هـ/1522 م) :

الفقيه الحافظ الزاهد الورع الولي الصالح ،درس بولاتن وتوفي بها ، تبحر عبد الله في العلوم الشرعية [32] ولم تشر المصادر إلى مؤلفاته فمعضم الترجمات جاءت مختصرة.

- أحمد بن محمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر:(931 هـ/1525 م- 976 هـ/1568 م)

العالم الفقيه المطّلع الحافظ المدرس أخذ عن جده لأمه الرسالة وخليل وعن غيره المختصر جلس للتدريس من عام 960 هـ /1553 م إلى غاية وفاته محرم سنة 976هـ /1568 م ،له حاشية على خليل اعتمد فيه على البيان والتحصيل وهذا ما ذكره السعدي والبرتلي [33].

2 – أسرة محمود بغيغ :(ت959 هـ/1551-1552 م)

إن أول من ذكر من هذه الأسرة هو الشيخ محمود بغيغ بن أبي بكر الونكري الذي تولى قضاء جني * في عام 959هـ/1551م ووﻻه القضاء السلطان أسقيا اسحاق بعد وفاة القاضي العباس كب ويعد القاضي محمود من بين العلماء الذين قاموا بدور عظيم في إثراء الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي وهو والد العالمين الجليلين : الفقيه محمد بغيغ عالم تمبكتو والفقيه أحمد بغيغ وقد أورد أحمد بابا في نيل الابتهاج ترجمة وافية للفقيه محمد بغيغ بحكم اتصاله به والتتلمذ على يده .

- محمد بن محمودبن أبي بكر الونكري التنبكتي عرف ببغيغ(930 هـ/1524 م- 1002 هـ/1593 م):وصفه أحمد بابا والسعدي بقولهما : العالم المتفنن الصالح العابد الناسك المفتي من خيار عباد الله الصالحين والعلماء رحل مع أخيه الفقيه أحمد إلى بلاد المشرق الإسلامي فلقيا بمصر الناصر اللقاني والتاجوري وغيرهم فاستفاد منهم ثم رجعا بعدأداء فريضة الحج إلى بلاد السودان فاستوطن تمبكت فصرف محمد أكثر وقته لنشر العلم، له تعليقات على بعض أمهات كتب المالكية ونبه على هفوات لشراح خليل وغيره توفي بمدينة تمبكت سنة 1002 هـ وكانت ولادته ستة 930 هـ [34].

- أحمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي عرف ببغيغ (ت978هـ/1570-1571 م)

عالم فقيه من فقهاء مملكة سنغاي الإسلامية خلا القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي ،وهو ابن القاضي الجنوي محمود بن أبي بكر الونكري وشقيق الفقيه المشهور،محمد بغيوغو [35]والأرجح أنه نشأ في جني وتلقى العلوم على أعلام أسرته [36]ومنهم والده وخاله الذين اشتهرا بالعلم والفقه ، فمنهما تلقى دروسه الأولى في اللغة والفقه ،ثم انتقل إلى تمبكتو التي كانت قبلة للطلاب والعلماء السودانيين وغيرهم من المشارقة والمغاربة ،فنزل مع أخيه بها واتصلا مع الأسرة الأقيتيةكالفقيه أحمد بن محمد بن سعيد(ت 976 هـ/ 1568 م) [37].

3- أسرة أندغ محمد : (أي سيدي محمد)

أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح ،عالم من علماء السودان الغربي في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي وقد قال فيه السعدي : معدن العلم والفضل والصلاح ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا فهو عالم جليل قاضي المسلمين ، وقال فيه أحمد بابا : هو أول من خدم العلم من أجداده ، تولى قضاء تومبوكتو في أواسط القرن التاسع الهجري وكان عالما وفقيها وعالما صالحا أخذ عن محمد الكابري وعاصر يحي التادلي [38] وهو جد أم أسرة أقيت ومن أبناء هذا العالم الفقيه المختار النحوي الذي لايقل شهرة عن والده.

- المختار النحوي بن أندغ محمد (ت922 هـ/1516 م)

العالم بكل فن من فنون العلم ،عاصر هو وأبوه يحي التادلسي* رحل مع أولاد أخته الفقيه الحاج أحمد والفقيه عبد الله والفقيه محمود أبناء عمر بن محمد أقيت إلى ولاته فأدرك الإمام الزموري**وأجازه كتاب الشفاء للقاضي عياض .فكان هذا العالم من أكبر فقهاء جامع سنكوري وعلمائها الذين ساهموا في بناء النهضة الثقافية وازدهارها في السودان الغربي [39]. وقد خلف المختار النحوي ابنا هو أبوعبد الله أندغ محمد إمام مسجد سنكوري حيث خلف القاضي محمود بعد كبر سنه ،عرف بالبراعة في العربية ومح الرسول ﷺ ،درّس كتاب الشفاء للقاضي عياض وبقي في إمامة المسجد إلى غاية وفاته.

وقد خلف هو الآخر ابنا هو المختار بن محمد بن المختار النحوي والذي ورث الإمامة عن أبيه وبشكل عام قد توارثت هذه الأسرة العلم أبا عن جد إلى جانب إمامة المساجد والقضاء في تمبكتو ، فقد كانت هذه الأسرة لاتقل شأنا عن أسرة أقيت التي انحدرت عنها من ناحية الأمهات .

-أحمد بن أحمد أندغ محمد السوداني (991هـ/1583 م- 1044 هـ/1634 م)

وهو أندغ (سيدي) أحمد ، العالم النحوي جامع النحو وأصول الفقه وأصول الدين قرأعلى الفقيه محمد بن محمود بغيع ،قرأ عليه مختصر خليل والرسالة والشافية ،وقرأ على غيره من أهل بلده وكان أبيض جميل الملمس فصيح اللسان وعليه هيبة وتولى قضاء تنبكت بعد موت أخيه القاضي محمد عام عشرين بعد ألف يجيد قراءة الألفية لابن مالك ،والبحث مع شرحها .وكان يدرس قطر الندى وشذور الذهب ،كلاهما لابن هشام والتسهيل والرسالة والمختصر وشرح الجرومية ،وله عدة تعاليق [40]. وقد أشار البرتلي إلى عدة أفراد من هذه الأسرة بإيجاز كبير استثنى حتى المولد والوفاة

4- أسرة محمود كعت :

هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكر مني دارا وتومبوكتي مسكنا الوعكي أصلا ،ولد في منطقة كوروما غرب مدينة غاو أخذ العلم عن علماء تومبوكتو وفقهائها ،برع في الأدب والفقه وتقلد منصب القضاء ، عاصر الحاج محمد الكبير أسقيا مملكة سنغاي 1493م/1528م وقد خلف أبناء كان لهم أدوار جسيمة في نمو الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي وهم القاضي الفقيه إسماعيل بن محمود كعت والفقيه يوسف بن محمد كعت ومحمد الأمين بن محمود كعت ،وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت [41] ومن مآثره كتابه المشهور " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار " كان مولده في 872 هـ/1468 م فعاصر الغزو المغربي لبلاده وما سبق ذلك من أزمات ،وهذا مايعطي الكتاب ميزة خاصة إلا أن

الحوادث التي جاء بها الكتاب تجتاز عمره بست سنوات مما يبعث على الاعتقاد بأن الكتاب أتمه بعض أحفاده بعد وفاته وكان قد أخذ عنه خلق كثير من بينهم الفقيه أحمد بابا الذي قال:" لقد صلر شيخ زمانه في العلوم والفنون لا نظير له ، لازمته أكثر من عشرة سنين ،فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل ،ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير وختمت عليه الموطأ قراءة فهم ،وحضرته كثيرا في المدونة ،ورجز المغيلي في المنطق ... وهو أستاذي وشيخي ،ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه وأجازني جميع مايجوز له ومنه وكتب لي بخطه في ذلك ." [42]

نجد أن أحمد بابا قد أفرد بعض التراجم لعلماء من السودان الغربي ومنهم ولم نعثر على أكثر من فقيه في هذه الأسر وهي كالآتي :

- محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي:(ت 936 هـ /1529 م)

اشتهر بأيد أحمد بهمزة مفتوحة ثم باء ساكنة ثم دال مفتوحة بعدها مضاف لاسم أحمد ،كان فقيها عالما علامة محققا فهامة محدثا عاصر أحمد بن عمربن محمد أقيت وتتلمذ عليه كما حضر دروس المغيلي ،لقي في المشرق علماء كثر كالقلقشندى فأخذ علم الحديث وصار من المحدثين ثم رجع إلى السودان وتولى قضاء كشنا *وتوفي بها وله تقاييد كثيرة [43].

- العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي من أهل تكدة وهي بليدة عمّرها صنهاجة قرب السودان : وصفه أحمدبابا بالفقيه النبيه الذكي له عدة تعاليق أحسنها على قول خليل وله الجواب المجدود على أسئلة القاضي محمد بن محمود وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير أجاب فيه أسكيا الحاج محمد ، وله وجوب الجمعة بقرية أنصمون ، أخذ عن المغيلي والسيوطي وغيرهما ،لم يشر إلى وفاته سوى أنه كان حيا قرب 950 هـ/1543 م [44].

- مخلوف بن علي بن صالح البلبالي : (ت:940 هـ/1533 م)

الفقيه الحافظ أول من أخذ عنه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ،رحل إلى المغرب لطلب العلم وتتلمذ على شيوخه ثم رجع إلى السودان ،فذاع صيته وتوافد عليه الطلاب من كل مكان من بلاد السودان ،وانتشر علمه واشتهر بقوة الحفظ حتى قيل أنه يحفظ صحيح البخاري ،ثم دخل مدينة تمبكت ودرّس هناك ونشر علمه فيها ،ثم رجع إلى المغرب فدرّس بمراكش ليرجع إلى بلاده تمبكت وتوفي بها سنة 940 هـ/1533 م [45] ، أما في النيل فلم يذكر له تأليف ولكن ذلك لايدل على عدم وجودها [46].

- **عبد العزيز التكروري :** العالم الفقيه رحل إلى المشرق في أواسط المائة التاسعة ،ويقال أنه عزى لأهل مصر جميع مسائل مختصر خليل لأصولها إلى نحو ثلاثة ،سمعتها من شيخنا العالم محمد بن محمود بغيع [47].

هذه بعض الأسر التي ورد ذكرها في كتاب نيل الابتهاج إلى جانب بعض العلماء شيوخ عصرهم الذين لم نعثر لهم على عقب ،وما يجب الإشارة إليه في هذه التراجم أن علماء السودان الغربي لم يكونوا أقل شهرة من علماء بلاد المغرب. إلا أن الفترة التي ازدهر فيها الحياة الثقافية في هذه البلاد ابتليت بالغزو الأوربي وهذا ماجعلها تتراجع تحت النشاط التنصيري ،وتسخير أهل هذه البلاد في خدمة اقتصاديات الدول الاستعمارية مما جعل القارة بأكملها تدخل غياهب الجهل والتخلف .

الهوامش:

1- ابن بطوطة محمد بن عبد الله ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار تح محمد عبد الرحيم ،ط1 ،دار الفكر 2009 ،ج2 ،ص367 .

2 – محمد الكابري :ولد في القرن التاسع الهجري (15م)نزيل تمبكتو ودرس بها وأخذ عنه الفقيه عمر بن محمد أقيت والفقيه سيدي يحي بن عبد الرحيم التادلي ت 866 هـ /1461 م ،عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ،مطبعة بردين الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية ،باريس ، 1981 ،ص47 . البرتلي ،فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ،تح محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي ،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1981 ،ص26 .

*- ولاتة: تقع على بعد حوالي 90 كلم إلى الشمال الشرقي على طريق وعر رملي بين مالي وسجلماسة : ابن بطوطة ،الرحلة ،المصدر السابق ،ص658 .

3- أحمد بابا التمبكتي ، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ،مج1 ،إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة ،ط1 منشورات كلية الدعوة ،طرابلس ،1989 ،ص37 ، البرتلي المصدر السابق،ص26 ، ابن مخلوف محمد شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ،القاهرة ،1329 هـ ،ص278 .

4- السعدي ، المصدر السابق ،ص37 .

5- السعدي ،نفسه ، ص41 .

6- أحمد بابا ، المصدر السابق ، مج1 ،ص165 . ابن مخلوف ،المرجع السابق ،ص284 .

*- أسكيا داود من ملوك سنغاي المشهورين حكم (1549 -1582 م) وهو يلي أسقيا محمد الكبير في حسن الإدارة كانت له علاقات وطيدة مع السعديين إلا أنها لم تدم طويلا حتى تعرضت لتوسع أحمد المنصور السعدي : فضل الله قمر الدين ،لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية (1468 م – 1591 م) ،مجلة الدعوة الإسلامية ،كلية الدعوة الإسلامية ،العدد4 ،طرابلس 1987 ،ص221 .

7- البرتلي ، المصدر السابق ، ص29 – 30 ،السعدي نفس المصدر السابق ،ص 42-43 .

8- مبخوت بودواية ، أعلام السودان الغربي مابين القرنين التاسع والعاشر الهجريين ،حولية المؤرخ ، اتحاد المؤرخين الجزائريين ،العدد 06 ،دار الكرامة للطباعة والنشر ،الجزائر ،جويلية 2005 ،ص191 .

9- أحمد بابا ،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ،ج2،ط1 ، المكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة ،2004 ،ص286 -289 . السعدي ،نفس المصدر السابق ،ص37 .

10- البرتلي ،نفس المصدر السابق ،ص30 .،محمد حسن نبيلة ،تاريخ الحضارة الإسلامية ،الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية ، د ت ،ص171 .

11- السلاوي ، الإستقصاء ، تح وتعليق جعفر الناصري –محمد الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء 1955،ج3 ، ص43.

*- كان القبض عليهم في آخر محرم من عام 1002 هـ فوصلوا إلى مراكش في الأول من شهر رمضان من نفس السنة ، وضلوا في السجن عامين ثم أطلق صراحهم سنة 1004 هـ . محمد حسن نبيلة ،المرجع السابق ، ص172 .

12- السعدي ، نفس المصدر السابق ، ص41 – 46 .

13- البرتلي ،نفس المصدر السابق ،ص34 .

14- الغربي محمد ،بداية الحكم المغربي في السودان الغلابين شاته وآثاره ،ج1،مؤسسة الخليج للطباعةوالنشر ،الكويت،1982 .ص540-541 .

15-J.K-zerbo ,Histoire de l'Afrique noire,Hatier,paris,1978,p344-345.

16- وليلاي كندو ،موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين ،حرف الألف /مج2،المنظمة العربية للثقافة والعلوم ،دار الجيل ،بيروت ،ط1 ،1425 هـ/2004 م،ص265-268 .

17- هذا ما ذكره أحمد بابا في النيل في مج2 ص303 بينما يرجعه آخرون إلى شعب الماندينغ ينظر:

Patrik Rayan,Imale yourba partisipation in Muslims Tradition ,new yourk ,Harvard 1978,p7-39 .

18- السعدي نفس المصدر السابق ،ص38 -39 ، كعت ،المصدر السابق، ص75 .

19- السعدي ،نفسه ،ص40 ،محمد بن مخلوف ،المرجع السابق ،ص284 .

20- حسن سعيد جالو،غامبيا ، موسوعة أعلام العلماء ،المرجع السابق ،ص280 .

21- السعدي ،نفسه ،ص34 .

22- أحمد بابا ،النيل ، مج2،ص291 .

23- ميغا عبد الرحمان ،الحركة العلمية في مدينة تمبوكتو خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين ،مجلة دار الحديث الحسينية ،العدد14 ،سنة1417 هـ/1997 م ،ص384 .

24- السعدي ،ص34 .

25- أحمد بابا ،النيل ،مج2 ،ص291 .

26- أحمد بابا ،النيل ،مج1، ص255 .

27- Hunwick,(H.O)Religion and statein the songhay empire ,1464-1591,in : islam in tropical Africa,ed.I.M.Laweis,Oxford University,press1969 ,p269-317 .

28- أحمد بابا ،النيل ،مج1 ،ص255 .

*- هو محمد بن الحسن الإمام العلامة من أكابر علماء مصر (873هـ/1468 م- 958 هـ/1551 م) آخر من انتهت إليه رياسة العلم بمصر : أحمد بابا ،كفاية المحتاج ،المصدر السابق ،ج2،ص237-239 .

*- عبد الرحمان بن محمد بن الحاج أحمد المغربي الطرابلسي التاجوري وبه عرف (ت962هـ/1554 م)

29 – أحمد بابا ،النيل ،مج1 ،ص399 ،وكفاية المحتاج ،ج1 ،ص295 .

*- القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الشيخ الإمام قاضي الأئمة :محمد بن محمد مخلوف ،نفس المرجع السابق ،ص140 .

30- السعدي ،ص 34 أحمد مهدي رزق الله ،حركة التجار والإسلام قبل الاستعمار وآثارها الحضارية ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،الرياض 1998 م ،ص342 -343 .

31- أحمد مهدي رزق الله ،المرجع السابق ،ص343 .

32- أحمد بابا ،النيل ،مج1 ،ص254 .

33- البرتلي ،نفس المصدر السابق ،ص28 .عبد الوهاب بن منصور ،أعلام المغرب العربي ، المطبعة الملكية ،الرباط ،1990 ،ج5 ،ص184-185.

*- تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي من تمبكتو وقد اختلف في تاريخ تأسيسها : السعدي ، المصدر السابق ،ص13 .

34- أحمد بابا ، النيل ،مج 2 ،ص294-298 .السعدي ،نفسه ص43-46 .

35- البرتلي ، نفس المصدر السابق ، ص28-29 .

36- السعدي ، نفس المصدر السابق ،ص45 .

37- احمد مهدي رزق الله ، المرجع السابق ، ص351 .

38- السعدي ،نفس المصدر السابق ،ص28 .

* - أبوزكريا يحي بن بدر بن عتيق التادلسي قاضي توات (ت877هـ/1472 م) :أحمد بابا ،النيل ،نفس المصدر السابق ،مج2،ص339 .

*-محمد بن محمد الأنصاري الزموري عالم مدرس في الفقه واللغة : أحمد بابا ، كفاية المحتاج ،المصدر السابق ،ج2 ،ص160 .

39- السعدي ،نفس المصدر السابق ،ص28-29 . الدالي ،التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء ،ط1 ،بنغازي ليبيا 2002 ،ص210-211 .

40 – محمد بن الطيب القادري ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ،القسم 1،تح : محمد حجي وأحمد التوفيق دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،1996 ،ص1324-1326 .

41- مبخوت بودواية ،العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان ،رسالة دكتوراه ،قسم التاريخ ،جامعة تلمسان ،2005-2006 .ص 185-186 .

42- يحي بوعزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية من القرن 16 إلى القرن 20 ،دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،2001،ص196-197 .

*- كشنا :تقع شرق إقليم كانو تتألف من مناطق جبلية وسهول ذات زروع سكانها شديدي الاسوداد مارمول كربخال ،افريقيا ،ج3 ،مطبعة المعارف الجديدة الرباط ،1988-1989 .ص208 .

43- أحمد بابا ، الكفاية ، المصدر السابق ،ج2 ،ص230 ،فودي بن عثمان ،انفلق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ،منشورات معهد الدراسات الإفريقية ،1996 ،ص51.

44- أحمد بابا ،نفس المصدر السابق ،ج1،ص294 .

45- السعدي ،المصدر نفسه ،ص39 .البرتلي ،المصدر نفسه ،ص146 .

46- بيفارد وديسكات ،من أعلام الأدب العربي النيجيري ،تر:معظم إبراهيم وزكريا آدم ،مدرسة البيان نيجيريا ،1425هـ/2004م،ص6 .

47 –أحمد بابا ،النيل ،المصدرنفسه ،مج1،ص303، الكفاية ،المصدر نفسه ،ج1 ،ص215 .